

صفحات من الذاكرة

جاك برداقجيان: طردوني من الشرق لأنني عزوبي

أجرى الحوار: جاسم عباس

في سلسلة حلقات من قديم الكويت نلقب صفحات الذكريات مع الرعيل الأول من رجالات الكويت الذين تخضروا في مرحلتي ما قبل النفط وما بعده، ومادام الحنين للأيام الخوالي، إلى الكويت القديمة، كويت الخير والبركة والحياة الاجتماعية المتألقة، هو القاسم المشترك الذي يجمعهم، فمن الانصاف ان يشمل معهم عددا من الوافدين من مختلف الجنسيات التي قدمت إلى الكويت قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة فجاهدوا وعملوا، كل في مجاله وما زالوا مساهمين في ورشة البناء والتنمية، وما كان ليستمتر هذا التواصل والعتاء لولا محبتهم لهذا البلد الخير ومحبة الكويت واهلها لهم.

■ جئت إلى الكويت عام ١٩٥٥ لأنها مستقرة وآمنة ■ عملت في أول مخرطة في الكويت والثانية فتحتها في كيفان



● جاك أغوب برداقجيان

وهو أول من دخل الكويت من الأرمن وكان للحجر الصحي الفضل الكبير في تجنب الناس الأوبئة، والدكتور الأرمني من الأطباء الذين عملوا في الحجر الذي أُلغى عام ١٩٥١، ثم عمل طبيبا في المستشفى الأميري، وهو الآن مواطن كويتي، وكان عدد الأرمن في تلك الفترة ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ أرمني والآن عددنا أكثر من ٨٠٠٠ أرمني في الكويت.

عزوبية شرق

ومازال يتذكر مستغربا ومبدهشا حادثة طرده مع زملائه الأرمن من بيته في منطقة شرق، حيث أمر صاحبه بالإخلاء فورا وبعد توقيع العقد الذي بينهم مرندا لهم؛ أخرجوا أتم عزوبية ما عندكم حريم كيف تسكنون عندي؟ ولا يجوز أن تتواجدوا أو تتجولوا في فريجننا، أتم عزوبية ما عندكم مكان إلا معهم وبينهم، وقال: خرجنا في سيارة أحد الأرمن واتكروها لوري (سيارة لنقل البضائع) وخلفها صندوق كبير مع أغراضنا مكثنا فيها ٣ أيام، والنوم على البحر قرب قصر السيف، أما الاكل فكان في كراج المخرطة.

وعرفت ان المجتمع الكويتي له عادات وتقاليد لا يمكن ان يتنازل عنها مقابل اي شيء، وهي من القوى الأساسية التي حافظ عليها الكويتي رغم التطور من جيل إلى جيل، ولكن عملية التقليد وضبط السلوك دون ان يصبحها تهديد.

وقال جاك: كنت اسمع دائما بعد هذه الحادثة العزوبية ان كل من يريد التاجير يقال له: هل معك اهل او انت زكري؟ بمعنى الخالق في ليسه او غير متزوج، وحتى كل من لا يدخل البحر من الشباب يقال له: «زكرت خياش».

وأخيرا سكتا الميعود، وبعض البيوت، وكراجات لتصلح السيارات، وهي منطقة مهمة لان موقعها الاستراتيجي في مدخل ومرج السور ترم عليها القوافل والسيارات، وهم بحاجة إلى المياه وصيانة سياراتهم، وأكثر التجمعات التي تولد الكهرباء قبل ان تصل إليها وبعد الساعة الرابعة عصرا تغلق، ويندا المغرب في تشغيل المصابيح اليدوية التي تشعل بالكبروسين والفيتلة مثل: السراي والتريلة، وتذكر أيضا كراج بوعوض الأرمني، ومرسيل للحدادة، أيضا أرمني ودكانا لبيع الزبوت لصاحبه حمزة عباس اشكاني، وكراج لاول جراج اذكر منهم: موسى

وكاظم وعباس، وقهوة لكردي عراقي، ومطعما لبنانيا متواضعا، وكان راتبني في البداية ٧٥٠ روبية، وبعد التنظيم انتقلت للعمل مع رشيد الملا بعد ان استورد الات حديثة للمخرطة بالقرب من المرور القديم والمقبرة الجعفرية عملت معه براتب ١٠٠٠ روبية، وأخيرا فتحت محلا بالمهنة نفسها لحسابي بعد ان اقترضت من السيد محمد العمر في منطقة كيفان وكان عبارة عن بيت عربي فيه ٦ غرف، وهي أول مخرطة في كيفان وكراج عام ١٩٥٨، وكان البيت ملك محمد سعود البعيجان صاحب الصداوي بايجار ٩٠٠ روبية، وكان محمد العمر له دور كبير في حياتي ومن كان معي جزاؤه من عند الله خير الجزاء.

مشاهداتي

وسمع جاك ما قيل عنه عند وصوله الكويت في المطار او المقاهي في ساحة الصفاء، كيف ياتي زائر إلى الكويت في هذا الفصل (البرزم - جليبين) أي موسم اشتداد الحر، وقال جاك: كنت اسمع بعضا من هذه الكلمات عرفتها فيما بعد، وخاصة بعد تردي على هذه الأماكن، وأنا كنت اضع قطعة قماش على راسي من شدة الحرارة التي قالوا عنها: غنة - وهي واي - حروره، سموه. والمشاهد ان هؤلاء الرواد كانوا في الداخل تحت مروحة متواضعة ومنهم على الكراسي في الخارج وملابسهم خفيفة من قماش «الملل»

كويتي اكتشف طريقة مبدعة لتبريد الحصان الأصفرى لجمالها

الرفيق الذي كان من اللبوسات الصيفية، والماء يشربونه بالملة (وعاء مفرغ)، واستغرب من تحمل هؤلاء لهذه الحرارة. وشاهدت عربة حصان ذات عجلتين، وصاحبها وضع في مقدمتها مروحة مبرودة بعجلاتها، وعند السير تدور المروحة مع دوران العجلات لتبرد على الحصان، وأنا فني مخرطة وميكانيكي استغربت من هذا الاكتشاف الذي المبدع، وعرفت انه انسان نحون رؤوف بالحيوانات، ومن المشاهدات أيضا دخلت مخزنا جميلا في شارع فهد السالم (الجهراء) شاهدت بعض الصبيان امام المحل يصفقون ويرقصون خرج لهم ممثل مصري «فريد شوقي» قال لهم: شاذني أنا شاذني، ولم يقل سناس او قره، كيف عرف هذه الكلمة ومعها ممثلة اخرى لا اعرفها واعتقد كانت هذه المشاهدة عام ١٩٦٤م.

وشاهدت انواعا من الرباط على الرزس (عقال) منه الأسود والابيض، وعقال زري، ومخصب، والشطفة المصنوع من الصوف، والحسبر والشطفة تعني «القطعة»، وبعد ذلك عرفت انه من متمات لباس الرجل. ومن تلك المشاهدات التي اختفت لف الفترة (غطاء الرأس) على شكل عمامة، وغرة ذات نقوش بارزة تسمى شماغ، والتسمية تركية (بشماك).

الوقت عمار

وعن وقت الفراغ وكيفية استغلاله قال: كنا نعمل في المخرطة ١٢

ساعة، واحيانا نواصل الليل بالنهاية، ولكن اذا اتاحت لنا فرصة العمل نحول هذا الفراغ إلى حركة هادفة ووقت خصب نختلط مع اخواننا بالقب والممارسة الهوايات وما تمل اليه النفس، والكويت غنية بالمتكبات والسواحل البحرية الصحية والسواق والمطاعم، والساحات غير الممنوعة للالعاب الرياضية.

وقال جاك: في الكويت وبطبيعة عملي عرفت ان الوقت هو الحياة بمعنى كنت اعرف قيمة الحياة وان لم تعرفها تعيش امواتا وان كنا نتنفس.

اضافة نادي الغزال الاجتماعي الرياضي الثقافي الذي اسسه بدر الملا سنة ١٩٦٤م في قرية الفحيحيل، كنا نرتاده ايام الجمع للسياحة والترجل على الماء، واطفاننا يركبون الخيل، والعباب التسليبية كانت متوافرة، ومدينة الامصدي كانت جديدة البناء وكثيرة الأشجار، وشوارعها جميلة وفيها حديقة تسر الناظر لها، وكان فيها حاكم هو المغفور له الامير الراحل الشيخ جابر الاحمد الصباح إلى عام ١٩٥٩م ثم المحافظ الشيخ جابر عبدالله الجابر الصباح الذي عين في عام ١٩٦٢م، وكنا نسميها بريطانيا الصغرى لان جمالها وروعيتها لا يقلان عن المدن البريطانية.

وعشق جاك اكوب تلا على طريق الجهراء كانت حوله مجموعة من ابار وارضة طينية، كان الكويتيون يحتضون فيها حتى نهاية الخمسينات، وهي منطقة «مغرة»، وكان يخرج منها طين احمر لصنع القباب.

وقال: كنا نعيش ساعات على ارتفاع ٤٠ مترا وبين اعشاب طبية ومفيدة للوقود، واحيانا تقضي وقت الفراغ في مقاهي شارع الجديد ومطاعمه، وقيل مغارة المكان في اغلب الاوقات كنا نشرب الماء بكثرة حتى لا نعطش في بيوتنا خوفا من تاخير المهري الذي كان يوفر لنا الماء.

اما بالنسبة للكنائس فاولها تأسست عام ١٩٣٢ وكانت بجوار الاسبالية الاميركية كنا نصلي فيها بالتناوب حتى انشئت عام ١٩٦٤ مدرسة لنا في ميدان حولي وجزء منها اقمنا فيها كنيسة وانتقلت المدرسة إلى منطقة السرة، والكنيسة ما زالت باقية نذهب لها في وقت الصلاة والعبادة، ولتلقى مع الاخوة الأرمن، وكنا قديما ندعو القس من البصرة في المناسبات.

طعم ونكهة

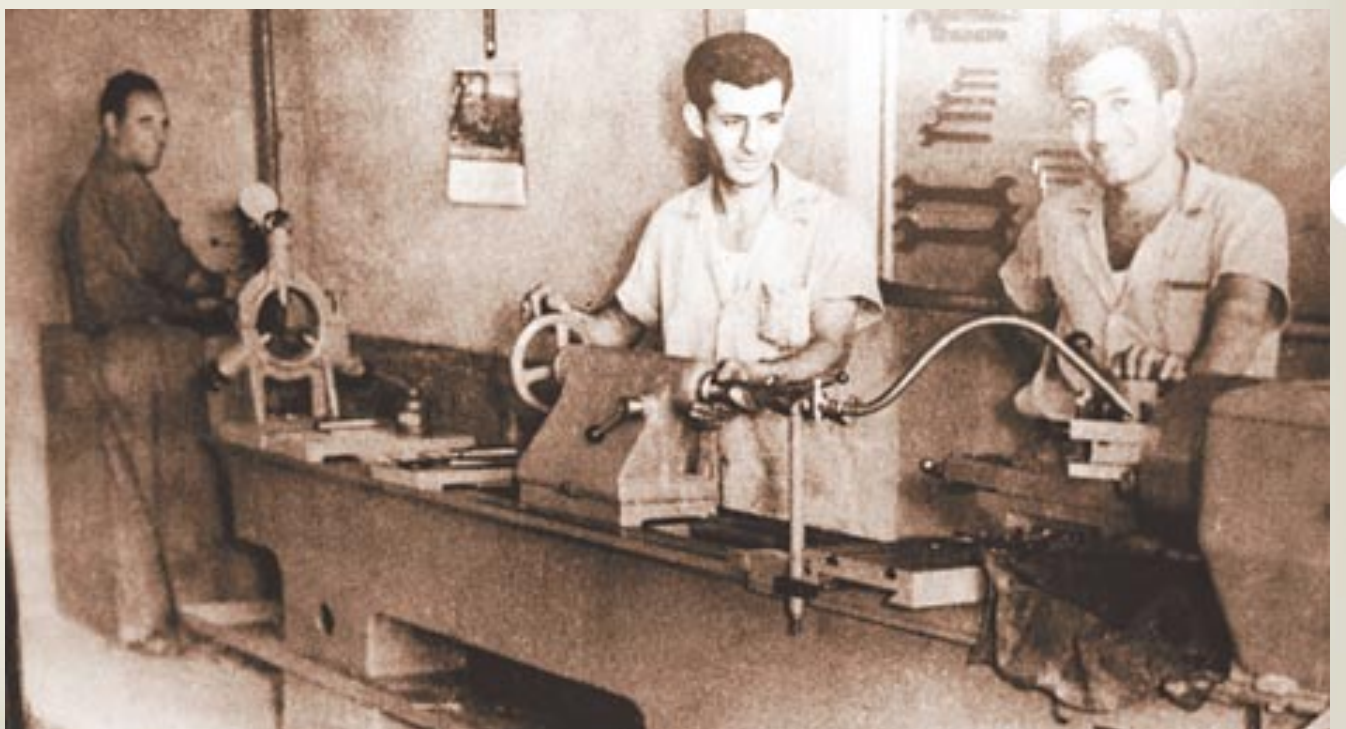
لم اكن اصديق ان المائدة الكويتية بهذا المستوى، ونعم ان العقل السليم لا يسكن الا الجسم السليم، وهذا يكمن في غذاء جيد وشامل، والمطبخ الكويتي هو فن وعلم، والأدب الكويتي يشمل كل المواد الغذائية. وقال برداقجيان: المشخول ما زال في فمي خاصة عندما يحضر البصل بالزيت، والمحمر الغني بالسكر والزعفران والهيل وماء الورد والسمن البلدي، واذا صار لونه بنيا، قالوا: هذا محمر بالديس عصارة التمر، وادام المحمر عادة يكون السمك خاصة الخياط المالح، وحتى الاموات تشتهي المحمر، اكلات متنوعة خاصة مطبق سمك الزبيدي والهامور، واما التقرور سمكة لونها ابيض، وكل من لا ياكلها لا يرجع للكويت، كل حتى تعود، والاسماك التي فيها شوك كثير لا اعرفها ولا اقترب منها ابدا.

واما الأرمن فلدبهم كبة بالصينية، وكبة طرابلسية وبالسيخ مع بانجان، ويرغل.

وقال: كنت من عشاق مشروب سينالكو، وزمزم، والصباح، وبوشي كولا، وليامس، والكازون الوطني.

وأخيرا قال جاك: منذ اكثر من نصف قرن لم ادخل اي ديوانية كويتية ابدا لان العمل والجهد لا تسمح لي، والديوانية للسوالف والتعارف وأنا اعرفهم من خلال المخرطة، ويتذكر اسمي دائما في الديوانيات «جاك المخرطي».

وقضيت عمري بالخراطة ابتداء من حلب وكان عمري ١٦ سنة والآن بلغت ٧٨ سنة، وبين الحديد والآلات القديمة والحديثة، والأيام صحائف الاعمال علينا ان نخلدنا باحسن الاعمال، واقول للشباب: ان الفرص ترم من السحاب، واحتسب نومك حتى لا يضيع وقتك، ولا تمر بك ساعة الا وانت مغتمت فائدة فيها، ومن جهل علم الوقت فقد جهل العلم كله.



● جاك (إلى اليمين) في الشامية ١٩٥٥